

بالطرق الفنية ذاتها التي كان شعراء الجاهلية يمتدحون بها الملوك والامراء ، أو قادة القبائل .

وقد أدى هذا الموقف الاسلامي من الشعر الى نتائج كثيرة اذكر منها ما يتصل بموضوعنا :

١ — الفصل بين « الشكل » و « المضمون » . الشكل وعاء حيادي ، قائم بذاته ، موجود سلفا ، هو الشكل الجاهلي . والمضمون هو الاسلام ، بقيمه وموحياته .

٢ — ليس الشكل بالنسبة الى الشاعر هو وحده الموجود مسبقا ، بل « المضمون » هو كذلك موجود مسبقا في الرؤيا الاسلامية .

٣ — اذا كان الشاعر يرث « شكله » و « مضمونه » فان ما يطلب منه هو ان يصوغ ويؤلف ، وان يحسن الصياغة والمؤالفة ، وليس ان يبدع : فلاله ابداع له المضمون (العقيدة الاسلامية) ، والتاريخ العريق ، لغة وشعرا ، ابداع له الشكل . فمن اين له هو ان يبدع ما يفوقهما ؟ ان مهمته هي في ان يأخذ ما اعطي له ، وان يجيد في محاكاته واستعادته . فهو لا يبدع بل ينسخ ويصوغ .

٤ — الشعر في الجاهلية فاعلية اولى ، في مستوى العمل والحلم والدين ، اي في مستوى الطبيعة والغريزة . فهو حدس اساسي في المعرفة ، بل هو الحدس الاكمل .

غير ان النبوة ، في الاسلام ، هي الحدس الوحيد ، والمعرفة كلها تصدر عن هذا الحدس . وهكذا **حات النبوة محل الشعر ، وتراجع الشعر الى مستوى الفاعلية الثانية** . صار ثقافة : اداة لخدمة الدين ، ينشره ويدافع عنه ويمجده . وهذا يعني ان **الاسلام ألغى الشعر من حيث انه مصدر للمعرفة ، او من حيث انه طريقة أصلية في استبطان العالم والكشف عنه ومعرفته** ، واثبتته كأداة كلامية للدفاع عن الدين .

٥ — ليس الشاعر في الاسلام « ذاتا » ، وانما هو جزء في « الجماعة » الاسلامية . فليس هو الذي يفكر ، بل الجماعة — وليس هو الذي يكتب بل الشكل — اللغة . والشعر جزء من عملية Processus النشاط العام الذي تقوم به « الجماعة » .

II

تلك هي الجذور التاريخية لمسألة التعبير والاتصال في الشعر العربي ، عرضتها بايجاز ، وهي تفيدنا في ملاحظة الأمور التالية :

١ — الامر الاول هو ان النجاج الشعري العربي ضعف كما وتوعا في العقود الخمسة الاولى التي تلت ظهور الاسلام .

وهذه ظاهرة فسرت بانشغال العرب عن الشعر ، بالقرآن أو بانشغالهم عنه بالفتوحات . وهو تفسير يجد في الدين والنشاط الحربي العملي أسباب ضعف الشعر وقلة الاهتمام به . غير ان هذا التفسير قد يوضح الأسباب التي **تتصل بكمية الشعر ، لكنه لا يوضح تلك التي تتصل بنوعيته** . ولعلها تكمن في الموقف الأيديولوجي الإسلامي ذاته من الشعر .

فحين نقل الاسلام الشعر من مستوى الطاقة الخلاقة ، الى مستوى العادة والصنعة ، جعل الشعر امرا ناعلا يمكن الاستغناء عنه ، واكد بالتالي على انه حين يستخدم ، كشكل تعبيرى ، لا يقوم من حيث انه شعر ، بل من حيث انه كلام يحسن اذا كان حسنا أي اذا كان يخدم الاسلام ، ويقبح اذا كان قبيحا ، أي اذا كان لا يخدم الاسلام ، أو يتناقض ما يفصح عنه مع ما يفصح عنه الاسلام .

٢ — الامر الثاني هو ان الشعر العربي لم يبدأ بالنهوض الا حين بدأ الشاعر يقيم مسافة بينه وبين الأيديولوجية الدينية من جهة ، وبينه وبين « الجماعة » بالمعنى الديني ، من